

## سورة الأحقاف

مكية [لا الآيات ١٠ و ١٥ و ٣٥ فمدنية]

وآياتها ٣٤ وقيل ٣٥ آية [نزلت بعد الجاثية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلا خلقًا ملتبسًا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ينتهي إليه وهو يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا﴾ من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه إليه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له. ويجوز أن تكون ما مصدرية، أي: عن إنذارهم ذلك اليوم.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنذِرُونِ

يَكْتَسِبَ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُكْفَرُ مِنْ عِلْمِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾

﴿يَكْتَسِبَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن، يعني: أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وإبطال الشرك. وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله إلا وهو ناطق بمثل ذلك، فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله ﴿أَوْ أَتُكْفَرُ مِنْ عِلْمِ﴾ أو ببقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين، من قولهم: سمت الناقة على أثاره من شحم، أي: على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب. وقرئ: «أثرة»، أي: من شيء أوثرت به وخصصتم من علم لا إحاطة به لغيركم. وقرئ: «أثرة» بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء، فالإثرة بالكسر بمعنى الأثرة. وأما الأثرة فالهمزة من مصدر: أثر الحديث إذا رواه. وأما الأثرة بالضم فاسم ما يؤثر، كالخطبة: اسم ما يخطب به.

﴿وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ بَعْدِهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ

غَفْلُونَ ﴿٥﴾

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالاً من عبدة الأصنام<sup>(١)</sup>، حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام، ويدعون من دونه جماداً لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة، وإذا قامت القيامة وحشر الناس: كانوا لهم أعداء، وكانوا عليهم ضداً، فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرة، لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة؛ وفي الآخرة تعاديبهم وتجحد عبادتهم. وإنما قيل: ﴿مَنْ﴾ (هم) لأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولي العلم من الاستجابة والغفلة، ولأنهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلاً وغباوة. ويجوز أن يريد: كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان، فغلب غير الأوثان عليها. قرئ: «ما لا يستجيب» وقرئ: «يدعو غير الله من لا يستجيب»، ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعيدتها. ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَا يُرِيبُوا أَسْمَاءَكُمْ وَلَكُمْ عَلَيْهِمُ الْبُيُوتُ الَّتِي ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُكُمْ مِنْهَا وَلَكِنْ لَا يَرْزُقُكُمْ مِنْهَا وَلَكِنْ يَضْحَكُ مِنْكُمْ وَيَذَلُّكُمْ﴾ [فاطر: ١٤].

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿بَيِّنَاتٍ﴾ جمع بيينة: وهي الحجة والشاهد. أو واضحات مبينات. واللام في ﴿لِلْحَقِّ﴾ مثلها في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا﴾ [الأحقاف: ١١] أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا<sup>(٢)</sup>. والمراد بالحق: الآيات، وبالذين كفروا: المتلو عليهم، فوضع

(١) قال محمود: «استفهام معناه إنكار أن يكون في الضلال كلهم أبلغ ضلالاً من عبدة الأصنام... الخ» قال أحمد: وفي قوله إلى يوم القيامة: نكتة حسنة، وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة، ومن شأن الغاية انتهاء المغيا عندها. لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية؛ لأنهم في القيامة أيضاً لا يستجيبون لهم، فالوجه والله أعلم: أنها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها وإن وافق ما قبلها إلا أنه أزيد منه زيادة بيينة تلحقه بالثاني، حتى كأن الحالتين وإن كانتا نوعاً واحداً لتفاوت ما بينهما كالشيء وضده، وذلك أن الحالة الأولى التي جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة، والحالة الثانية التي في القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة بالكفر بعبادتهم إياهم، فهو من وادي ما تقدم أنفاً في سورة الزخرف في قوله: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.

(٢) قال محمود: «اللام في قوله تعالى للحق نحو اللام في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا... الخ» قال أحمد: هذا الإضراب في بابه مثل الغاية التي قدمتها أنفاً في بابها؛ فإنه انتقل إلى موافق، لكنه أزيد من الأول، فنزل بزيادته عليه مع ما تقدمه مما ينقص عنه منزلة المتنافيين، كالنفي والإثبات اللذين يضرب عن أحدهما للآخر، وذلك أن نسبتهم للآيات إلى أنها مفتريات أشد وأبعد من نسبتها إلى أنها سحر، فأضرب عن ذلك الأول إلى ذكر ما هو أغرب منه.

الظاهران موضع الضميرين؛ للتسجيل عليهم بالكفر، وللمتلو بالحق ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أي: بادوه بالجحود ساعة أتهم، وأول ما سمعوه من غير إجابة فكر ولا إعادة نظر. ومن عنادهم وظلمهم: أنهم سموه سحرًا مبيّنًا ظاهرًا أمره في البطلان لا شبهة فيه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٨﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرًا إلى ذكر قولهم: إن محمدًا افتراه. ومعنى الهمزة في أم: الإنكار والتعجيب، كأنه قيل: دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب، /٢/ ١٧٧ب وذلك أن محمدًا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتره على الله، ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقتها العادة، وإذا كانت معجزة كانت تصديقًا من الله له، والحكيم لا يصدّق الكاذب فلا يكون مفتريًا. والضمير للحق؛ والمراد به الآيات ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ﴾ على سبيل الفرض عاجلني الله تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه. فلا تقدرّون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني، فكيف أفتره وأتعرّض لعقابه. يقال: فلان لا يملك إذا غضب، ولا يملك عنانه إذا صمم، ومثله: ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [المائدة: ٤١] ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا أملك لكم من الله شيئًا» (١٤١٥)، ثم قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى، والطعن في آياته، وتسميته سحرًا تارة وفرية أخرى ﴿كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يشهد لي بالصدق والبلاغ، ويشهد عليكم بالكذب والجحود. ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ موعدة بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا، وإشعار بحلم

١٤١٥ - أخرجه البخاري في صحيحه (٢٤٢/٧): كتاب المناقب: باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية حديث (٣٥٢٧). ومسلم في صحيحه (٨٢/٢): كتاب الإيمان: باب في قوله تعالى: «وأنذر عشيرتلك الأقرين» حديث (٣٤٨) (٢٠٤). والنسائي في سننه (٢٤٩/٦) كتاب الوصايا: باب إذا أوصى لعشيرته الأقرين، حديث برقم (٣٦٤٤). والترمذي في سننه (٣٣٨/٥): كتاب تفسير القرآن، حديث (٣١٨٥). وأحمد في مسنده (٣٣٣/٢). والدارمي في سننه (٣٠٥/٢) كتاب الرقائق: باب وأنذر عشيرتلك الأقرين وفي الباب عن عائشة وقد تقدم تخريجه بتوسع. قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولما نزلت: (وأنذر عشيرتلك الأقرين) دعا النبي - ﷺ - قريشًا فاجتمعوا، فعم وخص. فقال: يا بني كعب بن لؤي، يا بني مرة بن كعب، يا بني عبد شمس يا بني عبد مناف، يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب: إني لا أملك لكم من الله شيئًا - الحديث. انتهى.

الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا. فإن قلت: فما معنى إسناد الفعل إليهم<sup>(١)</sup> في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَلِكُوتَ لِي﴾ قلت: كان فيما أتاهم به النصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم، فكأنه قال لهم: إن افتريته وأنا أريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة إلى عبادة الله، فما تغنون عني أيها المنصوحون إن أخذني الله بعقوبة الافتراء عليه.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْرَهُ إِنْ أَنبِئُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

البدع، بمعنى: البديع، كالخف بمعنى الخفيف. وقرئ «بدعا» بفتح الدال، أي: ذا بدع ويجوز أن يكون صفة على فعل، كقولهم: دين قيم، ولحم زيم<sup>(٢)</sup>. كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به إليه من الغيوب. فقيل له: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ فأتاكم بكل ما تقترحونه، وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات؛ فإن الرسل لم يكونوا يأتون إلا بما أتاهم الله من آياته، ولا يخبرون إلا بما أوحى إليهم. ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾؟ بقوله: ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [طه: ٥٢] ﴿وَمَا أَدْرَىٰ﴾ لأنه لا علم لي بالغيب. ما يفعل الله بي وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله، ويقدر لي ولكم من قضاياه ﴿إِنْ أَنبِئُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ وعن الحسن: وما أدري ما يصير إليه أمري وأمركم في الدنيا، ومن الغالب منا والمغلوب. وعن الكلبي:

(١) قال محمود: «فإن قلت: ما معنى إسناد الفعل إليهم... الخ» قال أحمد: فيه نظر من قبيل أن الكلام جرى فرضاً وتقديراً. ومتى فرض الافتراء لا يتصور على تقديره نصح، فإن النصح عبارة عن الدعاء إلى ما فيه نفع، ولا ينفع المكلف في عمل ظاهر أو باطن إلا أن يكون مأموراً به من الله تعالى، ولا سبيل إلى الاطلاع على ذلك إلا من الوحي الحق لا غير، فإذا لا يتصور نصح مع الافتراء، وإنما يتم هذا الذي قرره على قاعدة المعتزلة القائلين بأن العقل طريق يوصل إلى معرفة حكم الله تعالى؛ لأنه إذا أمر بطاعة من الطاعات كالتوحيد مثلاً وقال: إن الله حتم عليكم وجوب التوحيد، وأنا رسول الله إليكم. ولم يكن متعوقاً: فإنه محق في الأمر بالتوحيد؛ لأن العقل دل على وجوبه عندهم، وإن كان مفترياً في دعوى كونه رسولاً من الله عز وجل. وهذه قاعدة قد أفسدتها الأدلة القاطعة، فيحتمل في إجراء الآية على مذهب أهل السنة: أن يكون إسناد الفعل لهم على معنى التنبيه بالشيء على مقابله بطريق المفهوم، فالمعنى إذاً إن كنت مفترياً فالعقوبة واقعة بي لا تدفعونها عني، فمفهومه: وإن كنت محقاً وأنتم مفترون فالعقوبة واقعة بكم لا أقدر على دفعها عنكم. ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ افتريته فعلى إجرامي وأنا بريء مما تجرمون﴾ وأمثاله كثيرة والله أعلم.

(٢) قوله: «ولحم زيم» في الصحاح «اللحم الزيم» المتفرق ليس بمجتمع في مكان فيبدن. وفيه أيضاً: بدن الرجل يبدن، إذا ضخم وسمن. (ع)

قال له أصحابه - وقد ضجروا من أذى المشركين -: حتى متى نكون على هذا؟ فقال: ﴿وَمَا أَدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ أترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض قد رفعت لي ورأيتهما - يعني في منامه - ذات نخيل وشجر؟ وعن ابن عباس: ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة، وقال: هي منسوخة بقوله: ﴿لِيُفْعَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] ويجوز أن يكون نفيًا للدراية المفصلة<sup>(١)</sup>. وقرئ: «ما يفعل» بفتح الياء، أي: يفعل الله عز وجل. فإن قلت: إن (يفعل) مثبت غير منفي، فكان وجه الكلام: ما يفعل بي وبكم. قلت: أجل، ولكن النفي في ﴿وَمَا أَدْرَى﴾ لما كان مشتملاً عليه لتناوله «ما» وما في حيزه صح ذلك وحسن. ألا ترى إلى قوله: ﴿أَوْلَمَّا يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَبْئَمْ بِخَلْقِهِنَّ يَقْدِرَنَّ﴾ [الأحقاف: ٣٣] كيف دخلت الباء في حيز أن وذلك لتناول النفي إياها مع ما في حيزها. و(ما) في (ما يفعل) يجوز أن تكون موصولة منصوبة، وأن تكون استفهامية مرفوعة. وقرئ: «يوحى» أي الله عز وجل.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ، فَتَأْمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

جواب الشرط محذوف تقديره: إن كان القرآن من عند الله وكفرتكم به أستم ظالمين<sup>(٢)</sup>. ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ والشاهد من بني إسرائيل: عبد الله بن سلام، لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نظر إلى وجهه، فعلم أنه ليس بوجه كذاب. وتأمله فتحقق أنه هو النبي المنتظر وقال له: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشرار الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل

(١) قال محمود: «أجود ما ذكر فيه حمله على الدراية المفصلة، يريد بذلك أن تفصيل ما بصير إليه من خير وبصيرون إليه من شر... الخ» قال أحمد: «بنى على أن المجرور معطوف على مثله، وأنهما جميعاً في صلة موصول واحد، ولو قيل: إن المجرور الثاني من صلة موصول محذوف معطوف على مثله، حتى يكون التقدير: وما أدري ما يفعل بي ولا ما يفعل بكم: لكانت (لا) واقعة بمكانة غير مفتقرة إلى تأويل، وحذف الموصول المعطوف وتفصيله كثيرة. ومنه [من الوافر]:  
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء  
يريد حسان رضي الله عنه: فمن يهجو رسول الله ﷺ ومن يمدحه سواء.

(٢) قال السمين الحلبي: ورد عليه الشيخ، بأنه لو كان كذلك لوجب الفاء؛ لأن الجملة الاستفهامية حتى وقعت جواباً للشرط لزمت الفاء، ثم إن كانت أداة الاستفهام همزة تقدمت على الفاء نحو: إن تزرنا أفما نكرمك؟ وإن كانت غيرها تقدمت الفاء عليها نحو: إن تزرنا فهل ترى إلا خيراً؟ قلت: والزمخشري ذكر أمراً تقديرياً فسر به المعنى لا الإعراب، وقال ابن عطية: وأرايتم يحتمل أن تكون منبهة فهي لفظ موضوع للسؤال لا يقتضي مفعولاً، ويحتمل أن تكون الجملة كان وما عملت فيه سادة مسد مفعولها. انتهى. الدر المصون.

الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أما أول أشراف الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه، وإن سبق ماء المرأة نزعه». فقال: أشهد أنك رسول الله حقًا، ثم قال: يا رسول الله، / ٢/ ١٧٨ إن اليهود قوم بهت وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني<sup>(١)</sup> عندك. فجاءت اليهود فقال لهم النبي ﷺ: أي رجل عبد الله فيكم؟ فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا. قال: رأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقالوا: شربنا وابن شربنا وانتقصوه. قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر. قال سعد بن أبي وقاص: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، وفيه نزل: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ يَثْلُجٍ﴾ (١٤١٦) الضمير للقرآن، أي: على مثله في المعنى، وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَرِئْتَهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨]، ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الشورى: ٣] ويجوز أن يكون المعنى: إن كان من عند الله وكفرت به وشهد شاهد على نحو ذلك، يعني كونه من عند الله. فإن قلت: أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف على معناه من جهة<sup>(٢)</sup> النظم.

١٤١٦ - أخرجه البخاري في صحيحه (٤/٧): كتاب أحاديث الأنبياء: باب خلق آدم وذريته حديث (٣٣٢٩)، وفي (٦٩١/٧) كتاب مناقب الأنصار: باب منه حديث (٣٩٣٨)، وفي (١٦/٩) كتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ حديث (٤٤٨٠)، والنسائي في سننه الكبرى (٣٣٨/٦٥): كتاب عشرة النساء: باب كيف تؤنث المرأة وكيف يذكر الرجل. حديث (٩/٧٤). والبيهقي في الدلائل (٥٢٨/٢) والبعوى في معالم التنزيل (١٦٥/٤). من طريق عن حميد الطويل به.

وأخرج ابن حبان في صحيحه (١١٧/١٦): كتاب إخباره عن مناقب الصحابة: باب ذكر عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأبو يعلى في مسنده (٤٥٨/٧٦): (٣٨٥٦) كلاهما عن يزيد بن هارون عن حميد به.

وأخرج طرفة الخاص بإسلام عبد الله بن سلام. البخاري في صحيحه (٦٦٢/٧): كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ - وأصحابه إلى المدينة حديث (٣٩١١)، وأحمد (٢١١/٣)، والبيهقي في الدلائل (٥٢٦/٢): من طريق عبد الوارث عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس. قال الحافظ ابن حجر: أخرجه البخاري من رواية حميد عن أنس، وأتم منه. انتهى.

(١) قوله: «بهتوني» أي: رموني بما ليس في. (ع)

(٢) قال محمود: «إن قلت: أخبرني عن نظم هذا الكلام لأقف عليه من جهة النظم... الخ» قال =

قلت: الواو الأولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط، كما عطفته (ثم) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ [فصلت: ٥٢] وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد، وأما الواو في ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ فقد عطفت جملة قوله. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ. فَأَمَنْ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ على جملة قوله: ﴿كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ ونظيره قولك: إن أحسنت إليك وأسأت، وأقبلت عليك وأعرضت عني، لم تتفق في أنك أخذت ضميمتين فعطفتهما على مثليهما، والمعنى: قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به، واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله وإيمانه به، مع استكباركم عنه وعن الإيمان به، أستم أضل الناس وأظلمهم؟ وقد جعل الإيمان في قوله: ﴿فَأَمَنْ﴾ مسبباً عن الشهادة على مثله؛ لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه، وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر، وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الإيمان نتيجة ذلك.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا نَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِكَ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ لأجلهم وهو كلام كفار مكة، قالوا: عاقبة من يتبع محمداً السقاط، يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود، فلو كان ما جاء به خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء. وقيل: لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار: قالت بنو عار وغطفان وأسد وأشجع: لو كان خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهم. وقيل: إن أمة لعمر أسلمت، فكان عمر يضربها حتى يفتري ثم يقول لولا أنني فترت لزدتك ضرباً، كان كفار قريش يقولون: لو كان ما يدعو إليه محمد حقاً ما سبقتنا إليه فلانة. وقيل: كان اليهود يقولونه عند إسلام عبد الله بن سلام وأصحابه. فإن قلت: لا بد من عامل في الظرف<sup>(١)</sup> في قوله: ﴿وَإِذْ لَمْ

= أحمد: إنما لم يوجه المعطوف إلى جهة واحدة؛ لأن التفصيل قد يكون عطف مجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما والآية من هذا النمط، ومثلها قوله تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية، وقد تقدم تقرير ذلك في الآيتين فجدد به عهداً.

(١) قال محمود: «لا بد من عامل الظرف وغير مستقيم أن يعمل فيه... الخ» قال أحمد: إن لم يكن مانع من عمل فسيقولون في الظرف ألا تنافي دلالتي الماضي والاستقبال، فهذا غير مانع، فإن الاستقبال ههنا إنما خرج مخرج الإشعار بدوام ما وقع ومضى؛ لأن القوم قد حرموا الهداية وقالوا: =

بِهْتَدُوا بِهِ ﴿ وَمَنْ مَتَعَلَّقَ لِقَوْلِهِ: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ وغير مستقيم أن يكون ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو العامل في الظرف، لتدافع دلالاتي الماضي والاستقبال، فما وجه هذا الكلام؟ قلت: العامل في إذ محذوف، لدلالة الكلام عليه، كما حذف من قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ [يوسف: ١٥] وقولهم: حينئذ الآن، وتقديره: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم، فسيقولون هذا إفاك قديم، فهذا المضمرة صخ به الكلام، حيث انتصب به الظرف وكان قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ مسبباً عنه كما صح بإضمام أن قوله: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] لمصادفة (حتى) مجرورها، والمضارع ناصبه. وقولهم: ﴿إفاك قديم﴾ كقولهم: أساطير الأولين ﴿كُتِبَ مُوسَى﴾ مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبراً مقدماً عليه، وهو ناصب ﴿إماماً﴾ على الحال، كقولك: في الدار زيد قائماً. وقرئ: ومن قبله كتاب موسى، على: وآتينا الذين قبله التوراة. ومعنى ﴿إماماً﴾: قدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه، كما يؤتم بالإمام ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به وعمل بما فيه ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كُتِبَ مُصَدِّقٌ﴾ لكتاب موسى. أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب. وقرئ: «مصدق لما بين يديه» ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من ضمير الكتاب في مصدق، والعامل فيه (مصدق) ويجوز أن ينتصب حالاً عن كتاب<sup>(١)</sup> لتخصسه بالصفة، ويعمل فيه معنى الإشارة. وجوز أن يكون مفعولاً لمصدق، أي: يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول. وقرئ: «لينذر» بالياء والتاء، ولينذر: من نذر ينذر إذا حذر ﴿وَبَشْرًا﴾ في محل النصب/٢/١٧٨ ب معطوف على محل لينذر، لأنه مفعول له.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾

= هذا إفاك قديم، وأساطير الأولين وغير ذلك؛ فمعنى الآية إذا: وقالوا إذ لم يهتدوا به هذا إفاك قديم وداموا على ذلك وأصروا عليه، فعبء عن وقوعه ثم دوامه بصيغة الاستقبال، كما قال إبراهيم: (إلا الذي فطرني فإنه سيهدين) وقد كانت الهداية واقعة وماضية ولكن أخبر عن وقوعها، ثم دوامها فعبء بصيغة الاستقبال، وهذا طريق الجمع بين قوله: (سيهدين) وقوله في الأخرى (فهو يهدين) ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذي ذكرته هو الوجه، ولكن الفاء المسببة دلت بدخولها على محذوف هو السبب، وقطعت الفعل عن الظرف المتقدم؛ فوجب تقدير المحذوف عاملاً فيه لينتظم بتقديره عاملاً أمران: مصادفة الظرف للعامل والفعل المعلل لعلته، فتعين ما ذكره الزمخشري لأجل الفاء لا لتنافي الدالتين. والله أعلم.

(١) أجاز محمود في نصبه أن يكون حالاً عن كتاب لتخصسه بالصفة... الخ. قال أحمد: وجهان حسان أعزهما بثالث: وهو النصب على الاختصاص، وهذه الوجوه في قوله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا﴾، والله أعلم.

أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١١﴾

قرئ: «حسناً» بضم الحاء وسكون السين. وبضمهما، وبفتحهما. وإحساناً، وكرهاً، بالفتح والضم، وهما لغتان في معنى المشقة، كالفقر والفقر. وانتصابه على الحال: أي: ذات كره. أو على أنه صفة للمصدر، أي: حملاً ذا كره ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ﴾ ومدة حملة وفضاله ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر؛ لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله عز وجل: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾ [البقرة: 233] بقيت للحمل ستة أشهر. وقرئ: «وفصله» والفصل والفصال: كالفطم والفطام. بناء ومعنى. فإن قلت: المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام، فكيف عبر عنه بالفصال؟ قلت: لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لأنه ينتهي به ويتم: سمي فصلاً، كما سمي المدة بالأمد من قال [من الخفيف]:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْمِلٌ مُدَّةَ الْعُمُرِ بِرِ وَوُجُودٍ إِذَا أَنْتَهَى أَمْدُهُ<sup>(١)</sup>

وفيه فائدة وهي الدلالة على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته. وقرئ: «حتى إذا استوى وبلغ أشده» وبلغ الأشد: أن يكتهل ويستوفي السن التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه، وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين. وعن قتادة: ثلاث وثلاثون سنة، ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد، وغايته الأربعين. وقيل: لم يبعث نبي قط إلا بعد أربعين سنة. والمراد بالنعمة التي استوزع الشكر عليها: نعمة التوحيد والإسلام، وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه؛ لأن النعمة عليهما نعمة عليه. وقيل في العمل المرضي: هو الصلوات الخمس. فإن قلت: ما معنى (في) في قوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾؟ قلت: معناه: أن يجعل ذريته موقعاً للصلاح<sup>(٢)</sup> ومظنة له كأنه قال: هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه [من الطويل]:

يَجْرَحُ فِي عَرَاقِمِهَا نَضْلِي<sup>(٣)</sup> .....

﴿وَمِنَ الْمُتَّيِّبِينَ﴾ من المخلصين. وقرئ: «يتقبل» ويتجاوز، بفتح الياء، والضمير فيهما

(١) تقدم.

(٢) قال محمود: «فإن قلت: ما معنى في ههنا، وأجاب بأن المراد جعل ذريته... الخ» قال أحمد: ومثله قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ عدولاً عن قوله: إلا مودة القربى. أو المودة للقربى، والله أعلم.

(٣) تقدم.

الله عز وجل . وقرئنا بالنون . فإن قلت : ما معنى قوله : ﴿ فِي أَحْسَبِ الْبَغْنَةِ ﴾ ؟ قلت : هو نحو قولك : أكرمني الأمير في ناس من أصحابه ، تريد : أكرمني في جملة من أكرم منهم ، وتنظمي في عدادهم ، ومحله النصب على الحال ، على معنى : كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين فيهم ﴿ وَعَدَّ الْأَصْدِيقِ ﴾ مصدر مؤكد ؛ لأن قوله : يتقبل ، ويتجاوز : وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز . وقيل : نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده ، واستجابة دعائه فيهم . وقيل : لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبي بكر رضي الله عنه .

﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَنْعَدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفْخِثَانِ اللَّهَ وَيَلُكُ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ وَإِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ ﴾ مبتدأ خبره : أولئك الذين حق عليهم القول . والمراد بالذي قال : الجنس القائل ذلك القول ، ولذلك وقع الخبر مجموعاً . وعن الحسن : هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث . وعن قتادة : هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه . وقيل : نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر<sup>(١)</sup> قبل إسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام ، فأفف بهما وقال : ابعثوا لي جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو ، وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ، ويشهد لبطلانه أن المراد بالذي قال : جنس القائلين ذلك ، وأن قوله الذين حق عليهم القول : هم أصحاب النار ، وعبد الرحمن كان من أفاضل

(١) قال محمود : « زعم بعضهم أن المعنى بالآية عبد الرحمن بن أبي بكر . . . الخ » . قال أحمد : ونحن نختار أن المراد الجنس لا عبد الرحمن بن أبي بكر ، ولكننا لا نختار الرد على قائل ذلك بهذا الوجه ، فإن له أن يقول : أراد عبد الرحمن وأمه ، ومثل ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب زليخا : ( إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ) فخاطبها وخاطب أمتها ، والمقصود هي ، وقد عاد إلى خطابها خصوصاً بقوله : ( واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين ) ولكن وجه الرد على من زعم أن المراد عبد الرحمن : ما ذكره الزمخشري ثانياً فقال : ( إن الذين حق عليهم القول ) هم المخلدون في النار في علم الله تعالى ، وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم . ونقل أن معاوية كتب إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن : لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبائكم ، فقال مروان : أيها الناس إن هذا هو الذي قال الله فيه : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ ﴾ . . . الآية فسمعت عائشة فغضبت وقالت : والله ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته ، ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله<sup>(٢)</sup> قال أحمد : وفي هذه الآية رد على من زعم أن المفرد الجنسي لا يعمم ؛ لأنه لا يعامل معاملة الجمع لا في الصفة ولا في الخبر ، فلا يجوز أن تقول : الدينار الصفر خير من الدرهم البيض ، وهذا مردود بأن خبر الذي الواقع جنساً جاء على نعت خبر المجموع كما رأيت ، والله أعلم .

المسلمين وسرواتهم. وعن عائشة رضي الله عنها إنكار نزولها فيه، وحين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن: لقد جئتم بها هرقلية، أتبايعون لأبنائكم؟ فقال مروان: يا أيها الناس، هو الذي قال الله فيه: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾ فسمعت عائشة فغضبت وقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت في صلبه، فأنت فضض من لعنة الله<sup>(١)</sup> (١٤١٧). وقرئ: «أف» بالكسر والفتح بغير

١٤١٧ - أخرجه النسائي في تفسيره: (٢٩٠/٢): سورة الأحقاف والحاكم في مستدرکه (٤٨١/٤)، وصححه على شرط الشيخين، وتعقبه الذهبي فقال: فيه انقطاع؛ فإن محمداً لم يسمع من عائشة. أ.هـ.

وعزه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٨٢/٢) إلى ابن أبي خيثمة في أول تاريخه، وإلى ابن مردويه في تفسيره، وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (١١/٦)، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

كلهم من طريق محمد بن زياد عن عائشة به.

وللقصة طريق آخر:

أخرجه البزار في مسنده (٢٤٧/٢) رقم (١٦٢٤ - كشف) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي مولى الزبير، قال: كنت في المسجد، ومروان يخطب، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: «والله ما استخلف أحداً من أهله، فقال مروان أنت الذي نزلت فيك: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما﴾ فقال عبد الرحمن: كذبت، ولكن رسول الله - ﷺ - «لعن أباك» وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤٤/٥). وقال: رواه البزار وإسناده حسن.

وللحديث شاهد أيضاً عند البخاري:

فقد أخرجه البخاري (٥٤٧/٩): كتاب التفسير باب سورة الأحقاف، حديث (٤٨٢٧) من طريق يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب، فجعل يذكر يزيد بن معاوية؛ لكي يبايع له، بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئاً: فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني﴾ فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً إلا أن الله أنزل عذري».

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية (١٥٨/٤ - ١٥٩): «وهذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما - فقوله ضعيف، لأن عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما - أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، وكان من خيار أهل زمانه. أ.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف:

أخرجه النسائي واللفظ له، وابن أبي خيثمة، والحاكم، وابن مردويه من رواية محمد بن زياد، وقال: لَمَّا بَايَعَ مَعَاوِيَةَ لِابْنِهِ قَالَ مَرْوَانَ: سَنَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر، سنة هرقل وقيصر. قال مروان: هذا الذي أنزل، فذكر الآية. فبلغ ذلك عائشة فقالت: «كذب والله» ما هو به فذكره. ولكن رسول الله - ﷺ - لعن أبا مروان، ومروان في صلبه... إلخ. ولفظ ابن أبي =

(١) قوله: «فأنت فضض من لعنة الله» في الصحاح كل شيء تفرق فهو فضض. وفي الحديث: أنت فضض من لعنة الله، يعني: ما انفض من نطفة الرجل وتردد في صلبه. (ع)

تنوين، وبالحرركات الثلاث مع التنوين، وهو صوت إذا صوت به الإنسان علم أنه متضجر، كما إذا قال: حس، علم منه أنه متوجع، واللام للبيان، معناه: هذا التأنيف لكما خاصة، ولأجلكما دون غيركما. وقرئ «أتعداني» بنونين. وأتعداني: بأحدهما/ ١٧٩/٢. وأتعداني: بالإدغام. وقد قرأ بعضهم: أتعداني بفتح النون، كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء، ففتح الأولى تحريماً للتخفيف، كما تحراه من أدغم ومن أطرح أحدهما ﴿أَنْ أُخْرِجَ﴾ أن أبعث وأخرج من الأرض. وقرئ: «أخرج» ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ يعني: ولم يبعث منهم أحد ﴿يَسْتَفِيئَانِ اللَّهَ﴾ يقولان: الغياث بالله منك ومن قولك، وهو استعظام لقوله: ﴿وَبَيْكَ﴾ دعاء عليه بالثبور: والمراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك ﴿فِي أَمْرٍ﴾ نحو قوله: ﴿فِي أَحْسَبِ الْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف: ١٦] وقرئ: «أن» بالفتح، على معنى: آمن بأن وعد الله حق.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٩)

﴿وَلِكُلِّ﴾ من الجنسين المذكورين ﴿دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر، أو من أجل ما عملوا منهما<sup>(١)</sup>. فإن قلت: كيف قيل: درجات، وقد جاء: الجنة درجات والنار دركات؟ قلت: يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب، لاشتمال كل على الفريقين ﴿وَلِيُوفيَهُمْ﴾ وقرئ: بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه، كأنه قيل: وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم، قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم، فجعل الثواب درجات والعقاب دركات.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّهَبْتُمْ طِينَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ تَنْفُسُونَ﴾ (٢٠)

ناصب الظرف هو القول المضمّر قبل ﴿أَدَّهَبْتُمْ﴾ وعرضهم على النار: تعذيبهم بها، من قولهم: عرض بنو فلان على السيف<sup>(٢)</sup> إذا قتلوا به ومنه قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ

-----  
= خيشمة: إن معاوية كتب إلى مروان بن الحكم أن يبايع الناس ليزيد بن معاوية فقال عبد الرحمن: لقد جئتم بها هرقلية... إلخ لفظ المصنف. قلت: أصله في البخاري من رواية يوسف بن ماهك عن عائشة دون ما في آخره. انتهى.

(١) قوله: «ومن أجل ما عملوا منهما» لعله: أو من أجل. (ع)

(٢) قال محمود: «عرضهم على النار إما من قولهم عرض بنو فلان على السيف... إلخ» قال أحمد: وإن كان قولهم: عرضت الناقة على الحوض مقلوباً، فليس قوله: يعرض الذين كفروا على النار مقلوباً؛ لأن الملقى ثم إلى اعتقاد القلب أن الحوض جماد لا إدراك له، والناقاة هي المدركة، =

عَلَيْهَا ﴿غَافِرٌ﴾ [٤٦] ويجوز أن يراد: عرض النار عليهم من قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريدون: عرض الحوض عليها فقلبوا. ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنه: يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها ﴿أَذْهَبْتُمْ طِبْيَاتِكُمْ﴾ أي: ما كتب لكم حظ من الطيبات إلا ما قد أصبتموه في دياكم، وقد ذهبت به وأخذتموه، فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها. وعن عمر رضي الله عنه: لو شئت لدعوت بصلائق وصناب<sup>(١)</sup> وكراكر وأسمنة، ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال: أذهبت طيباتكم في حياتكم الدنيا (١٤١٨). وعنه: لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وأحسنكم لباساً، ولكني أستبقي طيباتي (١٤١٩)، وعن رسول الله ﷺ: أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعاً، فقال: «أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى، ويغدئ عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى، ويستر بيته كما تستر الكعبة. قالوا:

١٤١٨ - أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد من طريق جرير بن حازم عن الحسن عن عمر به موقوفاً عليه، ومن طريق ابن المبارك رواه إبراهيم الحربي في «غريب الحديث»؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢٨٣/٣)، وعزاه الزيلعي أيضاً إلى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه «غريب الحديث»، وإلى ابن سعد في الطبقات في ترجمة عمر.

وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن المبارك في الزهد أخبرنا جرير بن حازم، أنه سمع الحسن يقول: «قدم على أمير المؤمنين عمر وفد أهل البصرة مع أبي موسى الأشعري، قال: لو كنا ندخل وأنه كل يوم خبز بيت. فذكر الحديث. وفيه: «أما والله ما أجهل من كراكر وأسمنة وصلاب وصناب، وقال جرير: الصلا هو الشواء والصناب الخردل، والصلائق الخبز الرقاق. ولكن سمعت الله غير أرقاماً بأمر فعلوه. فقال: (أذهبت طيباتكم) الآية. وأخرجه أبو عبيدة في الغريب. وابن سعد وأحمد في الزهد. وأبو نعيم في الحلية كلهم من طريق جرير به. انتهى.

١٤١٩ - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨٨/١١ - ٢٨٩) رقم (٣١٢٨٠)، ومن طريق الطبري رواه الثعلبي، كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢٨٣/٣)، من طريق يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا عن عمر بن الخطاب أنه كان يقول: لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً... إلى آخر.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمر (٤٩/١) من حديث عفان عبد جرير بن حازم عن الحسن عن عمر، قال: والله لو شئت... إلى آخره. وذكره السيوطي في الدر المشور (١٢/٦). وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري من رواية، سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا عمر قال: فذكره. انتهى.

= فهي التي يعرض عليها الحوض حقيقة. وأما النار فقد وردت النصوص بأنها حينئذ مدركة إدراك الحيوانات بل إدراك أولي العلم؛ فالأمر في الآية على ظاهره، كقولك: عرضت الأسرى على الأمير، والله أعلم.

(١) قوله: «بصلائق وصناب» في الصحاح: الصلائق: الخبز الرقاق. والصناب: صباغ يتخذ من الخردل والزبيب. والكركرة: رحي زور البعير: والزور: أعلى الصدر اه، أخذنا من مواضع. (ع)

نحن يومئذٍ خير. قال: بل أنتم اليوم خير» (١٤٢٠) وقرئ: «أذهبتم» بهمزة الاستفهام. و«أذهبتم» بألف بين همزتين: «الهنون» و«الهوان»: وقرئ «عذاب الهوان»، وقرئ: «يفسقون» بضم السين وكسرها.

﴿وَأَذَكَّرَ أَعَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٢١﴾

الأحقاف: جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء، من احقوقف الشيء إذا اعوج، وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن. وقيل: بين عمان ومهرة. و﴿النُّذُرُ﴾ جمع نذير بمعنى المنذر أو الإنذار ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ من قبله ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ومن بعده. وقرئ: «من بين يديه ومن بعده» والمعنى: أن هودًا عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم: لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم العذاب؛ وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه: يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه. ومعنى ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ على هذا التفسير ومن بعد إنذاره، هذا إذا علقت، وقد خلت النذر

١٤٢٠ - أخرجه الطبري في تفسيره: (٢٨٨/١١ - ٢٨٩) رقم (٣١٢٨٠)، من طريق بشر بن معاذ عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله - ﷺ - دخل يوماً على أصحاب الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعاً... إلى آخره سواء. ومن طريق الطبري رواه الثعلبي، وهذا مرسل، كما في تخريج الكشاف للزيلعي (حـ/٣/٢٨٤)، وعزاه الزيلعي أيضاً إلى أبي نعيم في الحلية في ترجمة أصحاب الصفة من طريق هناد بن السري عن يونس بن بكير عن سنان بن سنن بن سنبس الحنفي عن الحسن قال: بنيت صفة لضعفاء المسلمين، فجعل المسلمون يوغلون إليها ما استطاعوا من خير، فكان - عليه الصلاة والسلام - يأتيهم، فيقول: «السلام عليكم يا أهل الصفة»... إلى آخره. وللحديث شاهد من حديث علي:

أخرجه الترمذي (٦٤٧/٤): كتاب صفة القيامة، حديث (٢٤٧٦) من طريق يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثني من سمع علي بن أبي طالب يقول: إنا لجلوس مع رسول الله - ﷺ - في المسجد... إلى آخره.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن. أ.هـ. وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري من رواية سعد عن قتادة قال: ذكر لنا، فذكره. ومن طريقه الشعبي. ورواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة أهل الصفة من طريق الحسن قال: «حسب أضعاف المسلمين»، فذكر نحوه مطولاً وفي الترمذي من طريق محمد بن كعب القرظي: حدثني من سمع علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: بينا نحن جلوس في المسجد إذ طلع علينا مصعب بن عمير ما عليه إلا بردة له مرقوعة بفرو. فلما رآه رسول الله - ﷺ - بكى للذي كان فيه من النعمة. ثم قال: كيف بكم... الحديث نحوه». انتهى.

بقوله: أنذر قومه، ولك أن تجعل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ أَلْتُدُرُّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ اعتراضاً بين أنذر قومه وبين ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ﴾ ويكون المعنى: واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم؛ وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك، فاذكرهم.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُفِكَكُمْ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢١)

الإفك: الصرف. يقال أفكه عن رأيه ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾ عن عبادتها ﴿بِمَا تَعِدُنَا﴾ من معاملة العذاب على الشرك ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ صادقاً في وعدك.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ، وَلَنْ كُنتُمْ قَوْمًا بِجَاهِلُونَ﴾ (٢٢)

فإن قلت: من أين طابق قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ جواباً لقولهم: ﴿قَالُوا بِمَا تَعِدُنَا﴾؟ قلت: من حيث إن قولهم هذا استعجال/٢/١٧٩ ب منهم بالعذاب. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ فقال لهم: لا علم عندي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصواباً، إنما علم ذلك عند الله، فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تقترحونه أنتم؟ ومعنى: ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ وقرئ بالتخفيف: أن الذي هو شأني وشرطي: أن أبلغكم ما أرسلت به من الإنذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدني، ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا إلا منذرين لا مقترحين، ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ

الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢٥)

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ في الضمير وجهان: أن يرجع إلى ما تعدنا، وأن يكون مبهماً قد وضع أمره بقوله: ﴿عَارِضًا﴾ إما تمييزاً وإما حالاً. وهذا الوجه أعرب وأفصح. والعارض: السحاب الذي يعرض في أفق السماء. ومثله: الحبيبي والعنان، من حبا وعن: إذا عرض. وإضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة؛ بدليل وقوعهما وهما مضافان إلى معرفتين وصفاً للنكرة ﴿بَلْ هُوَ﴾ القول قبله مضمراً، والقائل: هود عليه السلام، والدليل عليه قراءة من قرأ: «قال هود، بل هو» وقرئ: «قل بل ما استعجلتم به هي ريح»، أي قال الله تعالى: قل ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير، فعبّر عن الكثرة بالكلية. وقرئ: «يدمر كل شيء» من دمر دمازاً إذا هلك «لا ترى» الخطاب للرائي من

كان. وقرئ: «لا يرى»، على البناء للمفعول بالياء والتاء، وتأويل القراءة بالتاء وهي عن الحسن رضي الله عنه: لا ترى بقايا ولا أشياء منهم إلا مساكنهم. ومنه بيت ذي الرمة [من الطويل]:

وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الضُّلُوعُ الْجَرَائِعُ<sup>(١)</sup> .....

وليست بالقوية. وقرئ: «لا ترى إلا مساكنهم»، و«لا يرى إلا مساكنهم». وروي أن الريح كانت تحمل الفسفاط والظعينة فترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة. وقيل: أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت: رأيت ريحا فيها كشهد النار. وروي: أول ما عرفوا به أنه عذاب: أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وغلقت أبوابهم؛ فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، وأمال الله عليهم الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين، ثم كشفت الريح عنه، فاحتملتهم فطرحتهم في البحر. وروي أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنف. وإنها لتمر من عاد بالظمن بين السماء وتدمغهم بالحجارة وعن النبي ﷺ أنه كان إذا رأى الريح فزع وقال: «اللهم إني أسألك خيرا وخيرا ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به وإذا رأى مخيلة: قام وقعد، وجاء وذهب، وتغير لونه، فيقال له: يا رسول الله ما تخاف؟ فيقول: إني أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا: هذا عارض ممطرنا» (١٤٢١). فإن قلت: ما فائدة إضافة الرب إلى الريح؟ قلت: الدلالة على أن الريح وتصريف أعتها مما

١٤٣١ - أخرجه البخاري (٤٤٣/٧٦): كتاب بدء الخلق: باب ما جاء في قوله تعالى: (وهو الذي يرسل الرياح بشرابين يدي رحمته) حديث (٣٢٠٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٦١٦/٢): كتاب صلاة الاستسقاء: باب التعوذ عند رؤية الريح، والغيم، والفرح بالمطر، حديث (١٤)، (٨٩٩/١٥)، والترمذي (٣٨٢/٥) كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الأحقاف حديث (٣٢٥٧)، وابن ماجه (١٢٨٠/٢): كتاب الدعاء: باب ما يدعو به الرجل إذا رأى السحاب والمطر، حديث (٣٨٩١). وأحمد في مسنده (٢٤٠/٦ - ٢٤١)، وأبو يعلى في مسنده: (١٦٥/٨) رقم (٤٧١٣/٣٥٧)؛ كلهم من طرق عن عطاء بن رباح عن عائشة به.

وله طريق آخر:

أخرجه البخاري (٥٤٩/٩ - ٥٥٠): كتاب التفسير: باب قوله تعالى: ﴿فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض مُمطرنا﴾ حديث (٤٨٢٩)، وأبو داود (٣٢٦/٤): كتاب الأدب باب ما يقول إذا هاجت الريح، حديث (٥٠٩٨)، وأحمد (٦٦/٦)، كلهم من طرق عن عبد الله بن وهب =

( ) تقدم.

يشهد لعظم قدرته، لأنها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده. وذكر الأمر وكونها مأمورة من جهته عز وجل: يعضد ذلك ويقويه.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿إِنْ﴾ نافية، أي: فيما ما مكناكم فيه، إلا أن ﴿إِنْ﴾ أحسن في اللفظ؛ لما في مجامعة (ما) مثلها من التكرير المستبمع. ومثله مجتنب، ألا ترى أن الأصل في «مهما»: (ماما) فلبشاعة التكرير، قلبوا الألف هاء. ولقد أغث<sup>(١)</sup> أبو الطيب في قوله [من الطويل]: لَعْمَرُكَ مَامَا بَانَ مِنْكَ لِضَارِبٍ .....

وما ضره لو اقتدى بعدوية لفظ التنزيل فقال: لعمرك ما إن بان منك لضارب<sup>(٢)</sup>. وقد

-----  
= عن عمرو بن الحارث عن أبي النضر عن سليمان بن يسار عن عائشة به بنحوه. وله طريق آخر أيضًا:

أخرجه أحمد في مسنده (١٦٧/٦) من طريق معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن عائشة به بنحوه. وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (١٤/٦)، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد. وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والبزار، وأبو يعلى، والبخاري في الأدب المفرد؛ كلهم من رواية عطاء عن عائشة، ولفظ مسلم قريب من لفظ الكتاب. انتهى.

(١) قوله. «ولقد أغث أبو الطيب» في الصحاح «أغث»: أي ردؤ وفسد، تقول: أغث الرجل في منطقه. (ع)

(٢) لعمرك ماما بان منك لضارب بأقتل مما بان منك لعائب لأبي الطيب. يقول: وحياتك ليس الذي ظهر منك للضارب يعني اللسان، أقتل: أي أسرع قتلاً من الذي ظهر منك للعائب، يعني: اللسان، بل هما سواء في الحدة. ويجوز أنه استعار القتل للضرب تصريحاً.

ينظر: ديوانه ص (٢٨٥)، والدر المصون (١٤٢/٦).

(٣) قال أحمد: بيت المتنبي ليس كما أنشده، وإنما هو كما يروى:

لعمرك إن ما بان منك لضارب بأقتل مما بان منك لعائب ولا يستقيم إلا كذلك لأن قبله:

هو ابن رسول الله وابن صفيه وشبههما شبهت بعد التجارب

من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوي، ولو أتى أبو الطيب عوض «ما» بـ «إن» لجاء البيت:

يرى أن إن ما بان منك لضارب .....

وهذا التكرار أثقل من تكرار «ما» بلا مرأ. وإنما فنده الزمخشري وألزمه استعمال «إن» عوض =

جعلت إن صلة، مثلها فيما أنشده الأخص: [الوافر]

يُرْجَى الْمَرْءَ مَا إِنْ لَا يَرَاهُ وَتَعْرِضُ دُونَ أَدْنَاهُ الْخُطُوبُ<sup>(١)</sup>

وتؤول بنا ما مكناهم في مثل ما مكناكم فيه، والوجه هو الأول، ولقد جاء عليه غير آية في القرآن ﴿هُمْ أَحْسَنُ أُنثَىٰ وَرِيًّا﴾، [مريم: ٧٤] ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاتَارًا﴾ [غافر: ٨٢] وهو أبلغ في التوبيخ، وأدخل في الحث على الاعتبار ﴿مَنْ شِئَ﴾ أي من شيء من الإغناء، وهو القليل منه. فإن قلت: /٢/ /١٨٠/ أ ب م انتصب ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ﴾؟ قلت: بقوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ﴾. فإن قلت: لم جرى مجرى التعليل؟ قلت: لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك: ضربته لإساءته وضربته إذ أساء؛ لأنك إذا ضربته في وقت إساءته؛ فإنما ضربته فيه لوجود إساءته فيه؛ إلا أن «إذ»، وحيث، غلبتا دون سائر الظروف في ذلك.

= «ما»؛ لاعتقاده أن البيت كما أنشده:

لعمرك ماما بان منك لضارب بأقتل مما بان منك لعائب

ولو عوض «إن» عوض «ما» كما أصلحه الزمخشري: لزم دخول الباء في خبر «ما» وإنما تدخل الباء في خبر «ما» الحجازية العاملة، و«إن» لا تعمل عمل «ما» على الصحيح، فلا يستقيم دخول الباء في خيرها، فما عدل المتنبّي عن ذلك إلا لتعذره عليه من كل وجه. على أنني لا أبرئ المتنبّي من التعجرف، فإنه كان مغرّياً به، مغرماً بالغريب من النظم. ونقل الزمخشري في الآية وجهاً آخر: وهو جعلها صلة مثلها في قوله [من الوافر]:

يرجى المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب

قال: «ويكون معناه على هذا مكناهم في مثل ما مكناكم... الخ» قلت: واختص بهذه الطائفة قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وقوله: ﴿مَكَتَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَوْ تَمَكَّنْكَ لَكُرُ﴾.

( ) فإن أمسك فإن العيش حلو إسي كأنه عسل مشوب

يرجى المرء ما إن لا يراه وتعرض دون أدناه الخطوب

وما يدري الحريص علام يلقي شرارشره أيخطيء أم يصيب؟

لجابر بن رالان الطائي. وقيل: لإياس بن الأرت. والشرارشر: جمع شرشر، وهي أطراف الشيء المشرشرة، أي: المفرفة المنشورة، وتطلق على الجسد وعلى الثقل ويكنى بها عن النفس كما هنا. وقيل: هي حبال الصيد. يقول: إن أبخل فالعيش حلو عنده كحلالة العسل الممزوج بالماء لتزول حرارته وضمن «حلو» معنى محبوب، فعده يالي. ثم قال: ولكن لا خير في الإمساك؛ فإن المرء يرتجي الأمر الغائب عنه. وتحول أهوال الموت أو شدائد الدهر بينه وبين أدنى شيء منه. وإن زائدة بعد ما الموصولة حملاً على ما النافية، وما يدري الذي وجه نفسه بكليتها للدنيا عواقب أمره، أريح أم خسر، وعلى أنها حبال الصيد ففي الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حال من أخذ في أسباب الأمر جاهلاً عاقبته: بحال من نصب الحبال للصيد، فقد وقد.

ينظر: حاشية الدسوقي على المغني (١/٢٤)، والخزانة (٣/٥٦٧)، والدر المصون (٦/١٤٢).

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آلَاتِنَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿مَا حَوْلَكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿بَيْنَ الْقُرَىٰ﴾ من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما. والمراد: أهل القرى. ولذلك قال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلَّ صَلَوَاتُ عَنَّهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

القربان: ما تقرب به إلى الله تعالى، أي: اتخذوهم شفعاء متقرباً بهم إلى الله، حيث قالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله. وأحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الذين<sup>(١)</sup> المحذوف<sup>(٢)</sup>، والثاني: آلهة. وقرباناً: حال ولا يصح أن يكون قرباناً مفعولاً ثانياً وآلهة بدلاً منه لفساد المعنى. وقرئ: «قرباناً» بضم الراء. والمعنى: فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم ﴿بَلَّ صَلَوَاتُ عَنَّهُمْ﴾ أي غابوا عن نصرتهم ﴿وَذَلِكَ﴾ إشارة إلى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم، أي: وذلك أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة، وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء. وقرئ «إفكهم»، والأفك والإفك: كالحذر والحذر. وقرئ: «وذلك إفكهم» أي: وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق. وقرئ: «أفكهم» على التشديد للمبالغة. و«إفكهم»، جعلهم آفكين. و«أفكهم»، أي: قولهم الأفك ذو الإفك، كما تقول قول كاذب، وذلك إفك مما كانوا يفترون، أي: بعض ما كانوا يفترون من الإفك.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّندِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي

(١) قال محمود: «أحد مفعولي اتخذ الراجع إلى الموصول محذوف... الخ» قال أحمد: لم يتبين وجه فساد المعنى على هذا الإعراب. ونحن نبينه فنقول: لو كان قرباناً مفعولاً ثانياً ومعناه متقرباً بهم: لصار المعنى إلى أنهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقرباً به؛ لأن السيد إذا وبخ عبده وقال: اتخذت فلاناً سيّداً دوني، فإنما معناه اللوم على نسبة السيادة إلى غيره، وليس هذا المقصد؛ فإن الله تعالى يتقرب إليه ولا يتقرب به لغيره؛ فإنما وقع التوبيخ على نسبة الإلهية إلى غير الله تعالى، فكان حق الكلام أن يكون آلهة هو المفعول الثاني لا غير.

(٢) قوله: «اتخذ الراجع إلى الذين المحذوف» هو الذي أبرزه في قوله: أي اتخذوهم. (ع)

## الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿مَرَفًا إِلَيْكَ نَفَرًا﴾ أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك. وقرئ: «صرفنا» بالتشديد؛ لأنهم جماعة. والنفر: دون العشرة. ويجمع أنفازًا. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: لو كان ههنا أحد من أنفازنا (١٤٢٢) ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ الضمير للقرآن. أي: فلما كان بمسمع منهم. أو لرسول الله ﷺ. وتعضده قراءة من قرأ «فلما قضى» أي أتمّ قراءته وفرغ منها ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض ﴿أَنْصِرُوا﴾ اسكتوا مستمعين. يقال: أنصت لكذا واستتعت له. روي: أن الجن كانت تسترق السمع، فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا: ما هذا إلا لنبياً حدث، فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشرف جن نصيبين أو نينوى: منهم زوبعة، فضربوا حتى بلغوا تهامة، ثم اندفعوا إلى وادي نخلة، فوافقوا<sup>(١)</sup> رسول الله ﷺ وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر، فاستمعوا لقراءته، وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم فلم يجيبوه إلى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف (١٤٢٣). وعن

١٤٢٢ - أخرجه مسلم (٢٦٥/٨ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - النووي) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه - حديث (٢٤٧٣/١٣٢) وأخرجه أحمد، وابن راهويه والبخاري في مسانيدهم؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢٨٧/٣).

وقال الحافظ ابن حجر: هذا طرف من قصة إسلام أبي ذر - رضي الله عنه - من رواية عبد الله بن الصامت عن أبي ذر ذكره مطولاً. وفيه: فينا أنا في ليلة قمراء خثمانية، وقد ضرب الله على أهل مكة، فما يطوف غير امرأتين، فأتيا على ذكر القصة. وفيه ثم انطلقنا يولولان. ويقولان، لو كان ههنا أحد من أنفازنا! أخرجه مسلم مطولاً. انتهى.

١٤٢٣ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٨٧/٣): غريب بهذا اللفظ، أ.هـ. والحديث أخرجه البخاري (٦٧٢/٩ - ٦٧٣): كتاب التفسير: باب سورة: ﴿قل أوحى إلى﴾، حديث (٤٩٢١)، ومسلم (٢/٤٠٣ - النووي) كتاب الصلاة: باب الجهد بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن، حديث (١٤٩/٤٤٩)، والترمذي (٤٢٦/٥): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الجن، حديث (٣٣٢٣)، والحاكم في المستدرک (٥٠٣/٢)؛ كلهم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «ما قرأ رسول الله ﷺ - على الجن وما رأهم... الحديث».

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما أخرجه مسلم وحده حديث داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله - رضي الله عنه - بطوله بغير هذه الألفاظ. أ.هـ.

وله شاهد من حديث ابن مسعود: أخرجه الحاكم (٤٥٦/٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. من طريق سفیان عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: هبطوا على النبي - ﷺ -... فذكره وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه بمعناه من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس دون أوله، ودون =

(١) قوله: «وافقوا رسول الله ﷺ» لعله: فوافقوا. (ع)

سعيد بن جبير رضي الله عنه: ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم، وإنما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقوا مستمعين وهو لا يشعر، فأنبأه الله باستماعهم (١٤٢٤). وقيل: بل أمر الله رسوله أن ينذر الجنَ ويقرأ عليهم فصرف إليه نفرًا منهم جمعهم له فقال: إني أمرت أن أقرأ على الجنّ الليلة فمن يتبعني: قالها ثلاثاً، فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لم يحضره ليلة الجنّ أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطاً وقال: لا تخرج منه حتى أعود إليك، ثم افتتح القرآن وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على رسول الله ﷺ، وغشيتة أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله ﷺ: هل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم رجالاً سوداً مستثفري ثياب بيض<sup>(١)</sup>، فقال: أولئك جن نصيبين (١٤٢٥)، وكانوا اثني عشر ألفاً، والسورة التي قرأها عليهم: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

= قوله: «وكانوا تسعة نفر أحدهم زوبعة»، ودون قوله «في جوف الليل يصلي»، ودون قوله: «من نينوى» ودون قوله: «عند منصرفه إلى آخره»، وأما زوبعة فأخرجه الحاكم من رواية ذر عن ابن مسعود قال: «هبطوا - يعني الجن - على النبي - ﷺ - وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة. فلما سمعوه قالوا: أنصتوا. وكانوا تسعة أحدهم زوبعة. فأنزل الله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ - الآية) وقوله: «نينوى» أخرجه الطبري من رواية قتادة في هذه الآية قال: ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى الحديث». انتهى.

١٤٢٤ - تقدّم - ينظر السابق. وقال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من رواية سعيد بن جبير، وهو من الذي قبله.

١٤٢٥ - قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٨٩/٣): غريب بهذا اللفظ. أ.هـ.

والحديث أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩٨/١١) رقم (٣١٣١٥) عن يزيد عن سعيد عن قتادة؛ أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ قال: «ذكر لنا أنهم صرّفوا إليه من نينوى... فذكره وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن عكرمة كما في تخريج الكشاف (٣/٢٩٠ - ٢٩١)، وأخرجه الحاكم في المستدرک: (٥٠٣/٢ - ٥٠٤) في تفسير سورة الجن من حديث الزهري عن أبي عثمان بن شيبه الخزاعي عن عبد الله بن مسعود قال: إن رسول الله - ﷺ - قال لأصحابه وهو بمكة: «من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل؟» فلم يحضر منهم أحد غيري... فذكره.

وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٩٨/١١) رقم (٣١٣١٧) من حديث معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي؛ أنه قال لابن مسعود به.

قال الحافظ ابن حجر: لم أجده بتمامه في سياق واحد، بل وجدته مفرقاً. فروى الطبري من رواية قتادة ذكر لنا النبي - ﷺ - قال: «إني أمرت أن أقرأ على الجن. فأيكّم يتبعني فأطرقوا ثلاثاً إلا ابن =

(١) قوله: «مستثفري ثياب بيض» في القاموس «الاستثفار»: أن يدخل إزاره بين فخذه ملوياً وإدخال الكلب ذنبه بين فخذه حتى يلزقه ببطنه اهـ. (ع)

فإن قلت: كيف قالوا: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾؟ قلت: عن عطاء رضي الله عنه: أنهم كانوا على اليهودية. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام، فلذلك قالت ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾. فإن قلت: لم بعض في قوله: ﴿مِنْ دُنُوبِكُمْ﴾؟ قلت: لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كذنوب المظالم ونحوها. ونحوه قوله عز وجل: ﴿إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقَوْهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [نوح: ٣ - ٤]. فإن قلت: هل للجن ثواب كما للإنس؟ قلت: اختلف فيه فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، لقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُونَ مِنَّ عَذَابَ الْبُورِ﴾ وإليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله. والصحيح أنهم في حكم بني آدم، لأنهم مكلفون مثلهم ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا ينجي منه مهرب، ولا يسبق قضاءه سابق. ونحوه قوله تعالى: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّعْجِزُهُ هَرَبًا﴾ [١٢] / ٢ / ١٨٠ ب [الجن: ١٢].

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرْ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾  
بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٣﴾

﴿يَقْدِرُ﴾ محله الرفع؛ لأنه خبر أن، يدل عليه قراءة عبد الله: قادر؛ وإنما دخلت الباء لاشتغال النفي في أول الآية على أن وما في حيزها. وقال الزجاج: لو قلت: ما ظننت أن زيداً بقائم: جاز، كأنه قيل: أليس الله بقادر. ألا ترى إلى وقوع بلى مقررة للمقدرة على كل شيء من البعث وغيره، لا لرؤيتهم. وقرئ: «يقدر»، ويقال: عيبت بالأمر، إذا لم تعرف وجهه. ومنه: ﴿أَفَعَبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ [ق: ١٥].

مسعود، فاتبعه حتى دخل شعباً يقال له شعب الحجون قال: وخط على ابن مسعود خطأ. فذكر أي: قوله: حتى خفت عليه - وزاد فيه: فقلت: ما هذا اللغظ؟ فقال: اختصموا إلي في جبل قضيت بينهم بالحق، وروى الحاكم والطبراني والدارقطني من طريق أبي عثمان بن شيبه الخزاعي، وكان رجلاً من أهل الشام أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول: «إن رسول الله - ﷺ - قال لأصحابه وهو بمكة: من أحب منكم أن يحضر الليلة أمر الجن فليفعل. فلم يحضر منهم أحد غيري. قال: فانطلقت حتى إذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطأ، ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام. فافتتح القرآن... الحديث» ونم يذكر قوله: «رجلاً سوداً... إلى آخره». وروى الطبري من رواية عمرو بن غيلان الثقفي، أنه سأل ابن مسعود فذكر القصة. وفيها فقال: «رأيت شيئاً؟ قلت: نعم. قد رأيت رجلاً سوداً مستشعري ثياب بيض. فقال: أولئك جن نصيبين سألوني المتاع - فذكر الحديث»، وليس فيه عددهم ولا اسم السورة. وروى ابن أبي حاتم من رواية عكرمة في هذه الآية قال: «كانوا من جن نصيبين جاؤوا من جزيرة الموصل. وكانوا اثني عشر ألفاً. فهذه الأحاديث من مجموعها ما ذكر إلا اسم السورة. انتهى.

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ﴾ محكي بعد قول مضممر، وهذا المضممر هو ناصب الظرف. وهذا إشارة إلى العذاب، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ والمعنى: التهكم بهم، والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده، وقولهم: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٨].  
﴿ فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ يَلْتَمِئُونَ إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

﴿ أُولُو الْعَزْمِ ﴾ أولوا الجد والثبات والصبر. و﴿ من ﴾ يجوز أن تكون للتبويض، ويراد بأولي العزم: بعض الأنبياء. قيل: هم نوح، صبر على أذى قومه: كانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم على النار وذبح ولده، وإسحق على الذبح<sup>(١)</sup>، ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف على الجب والسجن، وأيوب على الضر، وموسى قال له قومه: إنا لمدركون، قال: كلا إن معي ربي سيهدين، وداود بكى على خطيئته أربعين سنة، وعيسى لم يضع لينة على لينة وقال: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها. وقال الله تعالى في آدم: ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] وفي يونس: ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْهَوْنِ ﴾ [القلم: ٤٨] ويجوز أن تكون للبيان، فيكون أولو العزم صفة للرسول كلهم ﴿ وَلَا تَسْتَعْجِلْ ﴾ لكفار قريش بالعذاب، أي: لا تدع لهم بتعجيله؛ فإنه نازل بهم لا محالة، وإن تأخر، وأنهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوا ﴿ سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلِّغْ ﴾ أي هذا الذي وعظمت به كفاية في الموعظة. أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام ﴿ فَهَلْ يَهْلِكُ ﴾ إلا الخارجون عن الاعتاض به، والعمل بموجبه. ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ: بلغ فهل يهلك، وقرئ «بلاغًا»، أي بلغوا بلاغًا، وقرئ: «يهلك»، بفتح الياء وكسر اللام وفتحها، من هلك وهلك. ونهلك بالنون ﴿ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴾.

وعن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا» (١٤٢٦).

١٤٢٦ - تقدم برقم (٣٤٦).

وهو حديث فضائل القرآن سورة سورة، الموضوع على رسول الله ﷺ - وقال ابن حجر: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه، والواحدي بأسانيدهم إلى أبي بن كعب - رضي الله عنه - انتهى.

(١) والحق أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وهو الذي يدل عليه ظواهر القرآن الكريم، والآثار عن الصحابة والتابعين ومنها ما له حكمة الرفع بتقرير النبي ﷺ.